يظهر ان هذه القوة هي على تناغم تامّ مع القيادة الاحتكارية الاميركية ـ الصهيونية. لذلك، فان هذا التشكيل المتطرف الليكودي ـ العمّالي ـ الاميركي سوف يؤلف، لزمن غير قصير، عقبة كبيرة على طريق السلام. يساعد على ذلك كون الموقف السوفياتي تجاه العالم الثالث عموماً، والشرق الاوسط والقضية الفلسطينية خصوصاً، أُجريت فيه تحوّلات هامّة في المضمون، وفي الشكل، معاً. لا يزال الاتحاد السوفياتي يؤيد القضية الفلسطينية طبعاً. ولكن طبيعة التأييد اختلفت: فمشروع بريجينيف لم يلغ رسمياً؛ ولكن لم يعد له وجود عملي؛ وأصبحت صيغة «المؤتمر الدولي» متقادمة، وان أُثيرت، فبالصيغة المتقاربة مع الصيغة الاميركية؛ وربما الصيغة الاميركية ذاتها غير واردة. لا شك في ان العرب، والفلسطينيين خصوصاً، بحاجة جوهرية الى دعم الاتحاد السوفياتي؛ وهو الدعم الذي لعب دوراً كبيراً في حفظ التوازن القلق في المنطقة العربية. ولكن من الضروري ان يفهم المرء ان طبيعة الدعم تغيّرت. ربما تصريح اسحق رابين، في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٩، حسب أخبار الاذاعات في الثالث عشر منه، بأن التحوّلات في اوروبا الشرقية تسهّل الحل السلمي في الشرق الاوسط، يحمل (أي التصريح) في طياته معنى خطيراً، هو ان اسرائيل أصبحت قادرة على ان تنفرد بالحل على طريقتها في الشرق الاوسط. واذا ربطنا ذلك بهدف جعل الاردن وطناً للفلسطينيين، فاننا نحصل على احتمال خطير، يتمثّل في ان تكون ثمّة نيّة اسرائيلية ـ اميركية للعمل على تغيير خارطة المنطقة العربية، وفق مخطط[٩] اريئيل شارون، مثلاً، في حرب العام ١٩٨٢. يؤيد ذلك ظهور حملة[١٠]، مؤخراً، على الملك الاردني حسين في الصحافة الاسرائيلية.

ان اخراج النيّة المذكورة، على الرغم من انها موجودة، الى حيّز التنفيذ هو أمر يتعلق بمتغيّرات عديدة، عربية ودولية. فالمسألة ليست سهلة تماماً، وليست في حكم التطوّر الآلي للأحداث، ولكن يجب عدم استبعادها، أو يخفي المرء رأسه في الرمال.

الهامّ، هنا، هو السؤال ان كان ثمّة أفق لحل القضية الفلسطينية في منحى الصالح الفلسطيني ضمن مركّب الظروف الحالية؟ ان الموقف الاسرائيلي ـ الاميركي لا يدع هامشاً للحل الوسط، ما دام التطرّف الليكودي ـ العمّالي يسيطر على الادارة الاسرائيلية، وما دامت الادارة الاميركية تدعم ذلك التطرف. وهذا الوضع سوف يستمر، في المدى المنظور على الاقل.

وبما ان الهامش للحل الوسط معدوم، أو تقريباً معدوم، لا يبقى أمام المرء، في الخندق الفلسطيني، سوى احد حلّين، أو سوى حل مركّب من الحلين معاً: الاول هو ان يستمر المرء في طرق باب المجتمع الدولي من اجل المساعدة على ايجاد حل (الاتحاد السوفياتي، اوروبا الغربية، الامم المتحدة، الخ)؛ والثاني هو ان يعتمد المرء على الانتفاضة، من اجل انتزاع الدولة الفلسطينية بالقوة. والحل المركّب هو ما تقوم به منظمة التحرير الفلسطينية حالياً؛ فهي تطرق باب المجتمع الدولي في كل اتجاه، وتحرص، في الوقت عينه، على الانتفاضة، التي ما تزال لديها، حتماً، مجالات للتصعيد.

لكن لا بدّ، هنا، من المرور على خطورة ربط الانتفاضة بالطرح المتوارث عن الستينات، والمتعلق بالكفاح المسلّح.

في الستينات، طرحت سوريا، بصورة خاصة، منطلق الكفاح المسلّح وسيلة للتحرير. وقامت منظمة التحرير الفلسطينية نفسها حينذاك على أساس انها منظمة للكفاح المسلّح. كان الاساس النظري لذلك يعتمد على التجارب العالمية في التحرر، ومن الجملة تجربتا فيتنام والجزائر. لكن اذا كان المبدأ صحيحاً في بعض الحالات، وفي ظروف تاريخية معيّنة، فان صحّته تقتضي توفّر امور عديدة،